معدن الجواهر في تاريخ مؤدبي البصرة الأوائل

أ.د. ماجدة إبراهيم الباوي أ.م.د. أسماء عواد الدوري
جامعة بغداد/ كلية التربية–ابن الهيثم الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية

المقدمة

كان للبصرة أثر مهم في حياة شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام مثلما كان لدولة المناذرة والغساسنة دوراً في علاقتهما مع الإمبراطورية البيزنطية والساسانية، فقد كانت غارات مجموعة من الأعراب في صحرائهم المجاورة والمتصلة بالقرى والحاميات الفارسية في المنطقة، فقد أخذت شكلاً منظماً بعد الانتصار الكبير الذي حققه العرب في موقعة (ذي قار) حوالي عام (٦١١م) حين هزموا القوات الساسانية في ميدان المعركة واخذوا يغيرون على الأطراف الغربية من إمبراطوريتهم وما أن تضخم عداد المحاربين ومن انضم أليهم من رجال القبائل حتى بدأ التفكير في إقامة مصر دائم لتلبية حاجات المحاربين المتزايدة وتنظيم أمورهم.

شهد القرن الأول الهجري من التاريخ العربي الإسلامي أحداثا مهمة يأتي في مقدمتها تمركز المسلمين وزيادة نفوذهم واتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية، وأمام هذه الإحداث اندفع المسلمون خارج الجزيرة العربية، وكان لزاماً عليهم أن يثبتوا صحة دينهم وجدارة أدارتهم عن طريق القدرة العسكرية، وصحة المبادئ الجديدة، وقد تطلبت أعمال الفتوح والتحرير وحماية الدولة ومصالح الناس تأسيس العديد من المدن ذات الطابع العسكري، وكانت البصرة أحدى هذه المدن.

لقد عني الإسلام بالتربية والتعليم منذ البداية فكان أقراء القرآن وتعليم مبادئ الإسلام من ضرورات الدعوة لتكوين ألامه الناشئة، فبدأ الاهتمام بالتربية والتعليم في مكة وازداد واتسع بعد الهجرة إلى المدينة، ثم انتشرت بعد ذلك في بقية أقاليم الدولة العربية الإسلامية، وقد شمل الرجال والنساء في المسجد وهو المركز الأول للتعليم والتربية، إلى جانب البنين والبنات في الكتاتيب والدور.

تطلب انتشار الإسلام إرسال معلمين من الصحابة الكرام إلى بقية المناطق لتعليمهم القرآن وفرائض الإسلام، فبعد عملية الفتح الإسلامي أرسل الخلفاء الراشدون معلمين ومؤدبين لكل مصر من الأمصار لتعليم القبائل شؤون دينهم، فكان أقراء القرآن والتفقه فيه، ورواية الحديث من صميم أعمالهم.

أن القرآن الكريم هو المنهل الصافي والماء الذي لا ينضب، والقوة الدافعة للحياة العلمية، ومن خلاله ترعرعت وتمت وانطلقت الحركة العلمية في البلاد العربية الإسلامية، ومن العوامل التي ساعدت على نمو هذه الحركة هي وحدة الأمة الإسلامية في العقيدة والشريعة والأرض، فالجميع ينتقلون في البلاد الإسلامية من شرقها إلى مغربها والعكس صحيح بكل حرية دون قيد أو شرط، لأنها بلاده أينما حل وارتحل، وسكان البلاد العربية أخوانه في الدين، والقرآن وسيلة التفاهم في كل مكان يلجأ إليه.

تمهيد:

الأَدَبُ في اللغة: حُسْنُ الأَخلاق وفِعْلُ المَكَارِم وإِطلاقُه على عُلُومِ العَرَبِيَّة، والأَدَبُ أَدَبُ النَّفْسِ والدَّرْسِ، والأَدَبُ أَدب الرَّجُلُ كَحسُنَ يَأْدُبُ أَدَباً فهو أَديبٌ أُدباءُ، وقال ابنُ بُزُرْج: لَقَدْ أَدُبْت أدب أَدَباً حسَناً وأَنْت أَدِيبٌ وأَدَّبَه أَي عَلّمه فَتَأَدَّب تعلّم[1].

١ الزَّبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٤م، ج١/٢٧٦.

أما الأدب اصطلاحاً: فهو الأَدَبُ الذي يَتَأَدَّبُ به الأَديبُ من الناس، سُمِّيَ أَدَباً لأَنه يؤدب الناسَ إِلى المَحامِدِ ويَنْهاهم عن المقَابِح، وأَصل الأَدْبِ الدُّعاءُ، واستعمله الزجاج في اللّه عز وجل فقال وهذا ما أَدَّبَ اللّهُ تعالى به نَبِيَّه صلى اللّه عليه وسلم[١]، والمؤدب لقب كان يلقب به من يختار لتربية الناشئ وتعليمه[٢].

حظيت هذه الفئة من المؤدبين بكثير من الإجلال والتقدير، ولا يكاد الإنسان يجد من يقلل من شأنهم أو يضع من أقدارهم، فقد كان المسجد المكان الملائم لتعليم الناس، وفضلاً عن دور التعليم فقد نهض المسجد الذي كان محلاً للعبادة، ومهداً للعلم، وداراً للندوة، وكان الرسول محمد ﷺ والصحابة الكرام ﷺ يدرسون فيه المسلمين مختلف العلوم القرآنية والسنة، كما تعقد فيه المجالس والحلقات العلمية، إذ قال رسول الله ﷺ " من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله. ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره " [٣].

ولم يكن رسول الله ﷺ معلماً فحسب، وإنما كان يجلس يستمع إلى الصحابة وهم يحدثون ويقرؤون القرآن الكريم، فمثلاً كان يسمع القرآن من عبد الله بن مسعود (ت: ٣٢هـ) [٤].

كما يذكر أن الرسول الكريم محمد ﷺ قد دخل المسجد في المدينة المنورة فوجد حلقتين، أحداهما يقرؤون القرآن ويدعون الله، والأخرى يتعلمون ويعلمون، فقال النبي ﷺ " كل على خير، هؤلاء يقرؤون القرآن ويدعون الله، فأن شاء أعطاهم وان شاء منعهم، وهؤلاء يتعلمون ويعلمون، وإنما بعثت معلماً " [٥] فجلس معهم.

لقد حظي المودبين بمكانة متميزة من قبل خلفائهم، فقد كانوا يحترمونهم ويكرمونهم، ويحسنون إليهم ولا سيما عندما يدخلون مجالسهم، ومثال على ذلك كان الخليفة هارون الرشيد (ت: ١٨٠هـ) يصب الماء على يد أبي معاوية الضرير[٦]، عندما أكل معه، فقال له: " يا أبا معاوية أتدري من يصب على يديك ؟ قال: لا!، قال أنا، قال أنت يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم إجلالا للمعلم " [٧].

كما كان أولاد الخليفة المأمون (ت: ١٩٨هـ) يتنازعون بتقديم نعل مؤدبهم الفراء عندما ينهض، ويقدم كل واحد منهما فردة نعل[٨]، أما الخليفة الواثق بالله (ت: ٢٢٧هـ)، فقد كان يكرم مؤدبه ابن زياد[٩]، ويقربه من مجلسه لما قام بتعليمه منذ منذ الصغر، فقال: " هذا أول من فتق لساني بذكر الله، وأدناني من رحمة الله " [١].

---

١ ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥م، ج١/٢٠٦.

٢ مصطفى: إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، تركيا، ١٩٨٩م، ج١/٢١.

٣ ابن ماجه: محمد بن يزيد القز ويني (ت: ٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ج١/٨٢.

٤ الذهبي: محمد بن احمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ)، تذكرة الحفاظ، ط٤، مطبعة حيدر أباد الدكن، ١٩٦٨م، ج١/١٤.

٥ ابن ماجه: سنن ابن ماجه، ج١/٨٣.

٦ وهو محمد بن معاوية، محدث في الكوفة (ت: ١٩٥هـ). ابن العماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي (ت: ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، د. ت، ج١/٣٤٣.

٧ الخطيب البغدادي: أبو بكر احمد بن علي (ت: ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد مدينة السلام، مطبعة دار الكتاب، بيروت، د. ت، ج١٤/٨.

٨ ابن خلكان: احمد بن محمد (ت: ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨م، ج٢/٢٢٧.

٩ هارون بن زياد، محدث من واسط. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٤/٣٤٦.

ومهما تكن هذه الصور التي رويت عن احترام الخلفاء وأبنائهم لمؤدبيهم، فهي بلا شك صورة متألقة في احترام العلم وأهله، وقد جاءت من علية القوم وأولي الأمر، وهذا بالتأكيد ينسجم مع تفضيل العلماء على غيرهم من الرعية في القرآن الكريم والحديث الشريف.

كما اهتم رجال الإدارة من الأمراء باتخاذ المؤدبين لأبنائهم، ممن تجمعت فيهم علوم عديدة للإفادة منهم بتعليم أبنائهم، كما فعل محمد بن قحطبه[٢] عندما جاء إلى الكوفة وطلب مؤدب لأولاده لتعليمهم كتاب الله والحديث والفقه والنحو والشعر[٣]، وقد اختير له داوود الطائي[٤].

إن اهتمام رجال الدولة العربية الإسلامية بالعلم والعلماء، وفنون المعرفة المختلفة، أنما كان بتأثير وتوجيه رسولها الكريم محمد ﷺ والخلفاء الراشدين ﷺ وتبني الدولة العربية للعلم والعلماء ودعمهم المادي والمعنوي.

المبحث الأول: المؤسسات التعليمية في مدينة البصرة.

كان العلم والتعليم لا يقتصر على مكان معين في بداية الإسلام، وإنما كان الطلاب يتلقون العلم في أي مكان صادف وجود المؤدب، سواء كان في الجامع أو الدار أو في الأسواق وحتى في الطرقات، وكما هو معروف بناء المساجد من المهمات الأولى في كل مدينة إسلامية، وهو اقتداء بالأثر تيمناً بإعمال الرسول ﷺ عندما بني المسجد النبوي والذي كان أول الأعمال التي قام بها في المدينة المنورة، وهذا يشير إلى المكانة السامية للمسجد في أداء المهمة العلمية في أول يوم أسس في الإسلام.

والبصرة تعد من المدن العربية الإسلامية الثقافية في صدر الإسلام، وقد أريد لهذه المدينة أن تكون مدينة استراتيجية، وقاعدة للجيوش العربية للجناح الشرقي للأمة العربية، إلا أن خصائص ومميزات هذه المدينة قد جعلت منها مركز جذب واستقطاب لكثير من العلماء، مما جعلها تحتل مكاناً بارزاً في التراث العربي والإسلامي والعالمي.

لم تحظ البصرة من صحابة رسول الله ﷺ بغير عتبة بن غزوان [١]، ولعل هذا السبب يعزى إلى فقدان البصرة لأي قيادة دينية فعالة تنير للناس طريقهم وتوجههم لمواجهة الأزمات الكثيرة التي تعرضت لها المدينة.

لقد تبين أن التطور الاجتماعي لم يكن متساوياً في كل الأحوال، فصورة البصرة التي مزقتها الخلافات السياسية والقبلية، والتي تمثل جوهرها قبضة الحياة التقليدية البدوية على حياة المدينة، وشدها إلى الوراء لمدة طويلة من الزمن.

---

١ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٤/١٧٧.

٢ مؤدب واحد الكتاب في زمن المأمون توفي سنة ٢٥٣هـ. ابن كثير: إسماعيل بن عمر(ت: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية في التاريخ، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩٣٢م، ج١١/٢٩٤.

٣ ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٢/٣٠.

٤ الزاهد داوود بن نصير الكوفي الطائي، عالماً بالفقه، توفي سنة ١٦٢هـ. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج١/٢٥٦.

(١) أقبل القائد عتبة بن غزوان مدينة البصرة مع عدد من أفراد قواته، وانضم أليه قوم من الأعراب وأهل البوادي، فنزلها في شهر ربيع الأول سنة ١٤هـ، وأقام فيها نحو شهر فخرج اليه أهل الابلة، وكان بها خمسمائة من الاساورة الفرس يحمونها، حيث كانت مرفأ السفن من الصين، فقاتلهم حتى تم تحرير المدينة وذلك في رجب أو شعبان من السنة المذكورة، ولما فرغ عتبة من تحرير الابلة كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يستأذنه في تمصير البصرة وقال: " لا بد للمسلمين من منزل أذا شتى شتوا فيه، وإذا رجعوا من غزوهم لجاءا إليه " فكتب اليه بنزولها، لهذا بدأ بتخطيط المدينة. الطبري: محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، القاهرة، ١٩٦٣م، ج٣/٥٩٥؛ ابن الفقيه: احمد بن محمد (ت: في القرن الثالث الهجري)، مختصر كتاب البلدان، طبعة ليدن، ١٩١٤م، ص١٦٦.

ولعل تعليم القرآن الكريم الذي بدأ بولاية أبي موسى الأشعري والتي امتدت من عام ١٧هـ إلى عام ٢٩هـ، حيث كان اجتماع كل هذه القبائل في مكان حضري واحد تجربة مثيرة، بما تنطوي عليه احتمالات الصدام والشقاق بين هذه الجماعات المتنافرة، والواقع أن حدة النزاع قد بدأت ترتفع قبل وصول أبي موسى الأشعري إلى المصر، كما يفهم من الكلمات التي ذكرها الخليفة عمر ﷺ لأبي موسى الأشعري وهو يعينه والياً على البصرة قائلاً: " أني أبعثك إلى أرض قد باض الشيطان بها وفرخ، فألزم ما تعرف، ولا تستبدل فيستبدل الله بك " [١].

يعتبر تعليم القرآن الكريم والذي بدأ في وقت مبكر هو من أهم أوجه النشاط الثقافي بالبصرة، وقد أخذت هذه الحركة تزداد بازدياد تطور المصر، وقد بلغ عدد القراء حوالي الثلاثمائة قبل أن يغادر أبو موسى[٢]، وكان من أشهر قراء البصرة هو الحسن البصري (ت: ١١٠هـ) وأبو عمرو بن العلاء (ت: ١٥٤هـ) ويحيى بن المبارك (ت: ٢٠٢هـ) ويعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي (ت: ٢٠٥هـ)[٣].

لقد كثرت بعد ذلك الدراسات القرآنية الخاصة بالقرآن وأعرابه وناسخة ومنسوخة وتأويله وتفسيره، وأما الحديث فأن للبصرة جهداً لا يقل عن جهد علمائها في الدراسات القرآنية وتوجيهها في هذا المضمار، فقد قام المحدثون بوضع أبوابه وشرحه، واختصوا وجمعوا بين دراسة الحديث ودراسة القرآن والدراسات اللغوية والنحوية حتى كثرت التصانيف، وكثر الطلاب وتوسعت حلقات الدراسة في هذا المصر.

لقد كان للعلماء نشاط بارز في العطاء العلمي الذي كان له المكانة المتميزة في الفكر العربي الإسلامي، فقد اشتهر عدد كبير منهم (أبو الأسود الدؤلي ت ٦٩هـ)، إذ قال القفطي[٤]: "وروي عن أبي الأسود، قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فأخرج لي رقعة فيها، الكلام كله اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، قلت: ما دعاك إلى هذا ؟ قال: رأيت فساداً في كلام بعض أهلي، فأحببت أن ارسم رسماً يعرف به الصواب من الخطأ، فأخذ أبو الأسود النحو عن علي ﷺ ولم يظهره لأحد ".

لم ينحصر أسهام علماء البصرة على العطاء في المجالات الإنسانية والعلمية فقط، وإنما في مجالات شتى، فقد أشار الحريري في مقاماته المشهورة مخاطباً أهالي البصرة قائلاً: "يا أهل البصرة بلدكم أوفى البلاد طهره، وأزكاها فطرة، وأوسعها دجلة، وأكثرها نهراً ونخل. ... منكم من استنبط علم النحو ووضعه، والذي ابتدع ميزان الشعر واخترعه، وما من فخر ألا ولكم فيه اليد الطولى، والقدم المعلى"[١].

لقد قطعت البصرة شوطاً بعيداً في الحضارة والرقي نبغ فيها عدد كبير من فحول العلماء وفقهائهم واشتهر منهم على الخصوص أئمة المعتزلة، كما اشتهرت البصرة بفكرها المعتزلي، وكان لعلماء الكلام فيها الفضل الكبير على صعيد الآراء والمناقشات، ومنهم العالم والفيلسوف الكندي (ت: ٢٥٢هـ) الذي عرض أراء فلسفية في مسائل تتعلق بالله والعالم.

---

(١) الطبري: المصدر السابق، ج٤/٧٠.

(٢) الجاحظ: أبو عمرو بن بحر (ت: ٢٥٥هـ) البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط، مصر، ١٩٨٥م، ج١/٣٠٦.

(٣) سزكين: فؤاد، تراث الإسلام، حلب، ١٩٧٧م، ج١/٥٨.

(٤) جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت: ٦٤٦هـ) أنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م، ج١/٥.

(١) الشريشي: أحمد بن عبد المؤمن بن موسى الأندلسي (ت: ٦١٩هـ)، شرح مقامات الحريري، تحقيق مجمد أبو الفضل، القاهرة، د. ت، ج٥/٣٤٤.

وقد وجدت في مدينة البصرة عدد من المراكز الفكرية منها المسجد الجامع والمربد والمجالس الأدبية والشعرية، وقد لا تعدو الحقيقة إذا ما قلنا بأن قسماً منها، وخاصة المساجد، كانت تؤدي أدوارا ثقافية إضافةً لأهميتها الدينية.

ويمكن تحديد أماكن التعليم بما يأتي:

أولا: المساجد

كانت المساجد التي أقيمت في صدر الإسلام بمثابة المعاهد التي تؤدي خدمة التعليم إلى جانب وظيفتها الدينية الرئيسية، إذ لم يكن للمسلمين في عصر الرسول ﷺ أماكن مخصصة للتعليم والدراسة، وإنما كان مسجد الرسول ﷺ في المدينة ملتقى الصحابة حيث يؤدون فيه الصلوات ويستمعون إلى تعليمات الرسول وتوجيهاته، كما كانوا يتلقون فيه مبادئ القراءة والكتابة، وكان المسلمون يشكلون حلقه حول الرسول محمد ﷺ إذ يتلقون منه القرآن الكريم وحديثه، ويجيبهم عن كل الأمور التي تدور في خلدهم، وعليه فأن المسجد هو دائرة الضوء المشعة لتأدية الفرائض وتبليغ تعاليم الإسلام إلى الناس، فضلاً عن دراسة المسائل الفقهية، ويعد المسجد مكان للشورى وتقاضي الناس[١]، وبعد عملية الفتح العربي الإسلامي كثرت المساجد وزاد انتشارها، وأصبح من المتبع أن يبنى مسجد أو أكثر في كل مكان فتحه المسلمون، أو في كل مدينة أو قرية أسسوها[٢].

تباينت حلقات العلم في المساجد في غاياتها، وتنوعت في مناهجها وطرقها، واختلفت أحجامها، تبعاً لمقاصد الناس ورغباتهم، وما هو عليه العالم من خصال تجذب الناس إليه أو تبعدهم عنه[٣]، وكانت تلك الحلقات في الواقع عبارة عن مدارس ساهمت في نشر الحركة العلمية، كما حفلت المساجد بمجالس الوعظ والتذكير[٤]، وقراءة القرآن وذلك لدخول عناصر غير عربية إلى الدين الإسلامي، من اجل معرفة مبادئ الدين الجديد وأصوله[٥].

أما وقت انعقاد الحلقات فكانت تجري يوماً في الأسبوع حتى لا يصيب الحضور الضجر، فعن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) قال: "حدث الناس كل جمعه مرة، فأن أتيت فمرتين، فان أتيت فثلاث مرات ولا تمل الناس"[٦].

كان للمساجد الأثر الكبير في نشاط الحركة الثقافية الإسلامية والتي أضاءت الأرض بهديها وتعاليمها، والمسجد الجامع في البصرة كان على رأس المراكز الثقافية، فلم يكن مقصوراً على أداء فريضة الصلاة والصلاة الجامعة، وإنما بدأت الحياة العلمية تدب فيه، عن طريق إقامة الحلقات العلمية بعد كل فريضة من فرائض الصلاة لنشر العلم والثقافة، فكانت هناك حلقة ابن عباس خاصة في مسائل القرآن الكريم وتفسيره، وحلقة الحسن البصري، والتي اهتمت كذلك في تفسير القرآن والحديث، والفراهيدي (ت: ١٧٥هـ) والأصمعي (ت: ٢١٦هـ) وابن حبيب(ت: ٢٤٥هـ) وكانت هذه الحلقات من أكثر الحلقات الثقافية ازدهاراً[٧]، وقد ذكر لنا أبو الفرج الأصفهاني[١]: أن محمد بن بشير كان ذات يوم حاضراً في

---

١ السمعاني: عبد الكريم بن محمد (ت: ٥٦٢هـ)، أدب الإملاء والاستملاء، القاهرة، ١٩٥٢م، ص٦٧.

٢ الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٤، بيروت، ١٤٠٦هـ، ج١٣/٤٤١.

٣ القفطي: أنباه الرواة على أنباه النحاة، ج٢/١٣١.

٤ ألسبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت: ٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، مطبعة عيسى ألبابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٦٤م، ج٤/٣٠١.

٥ السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، تحقيق: منيرة ناجي سالم، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٥م، ج١/١٢٤.

٦ السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء، ص٦٧.

٧ ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن منيع البصري (ت: ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ج١/٢٨.

حلقة اللغوي النحوي المعروف بالرياشي (ت: ٢٥٧هـ) في جامع البصرة، وكان إلى جوار حلقته هذه جماعة من أهل الجدل، وكانوا يتصايحون ويتجادلون في المقالات والحجج.

ثانياً: الكتاتيب.

تعد الكتاتيب المدرسة الأولى لتعليم الصبيان، وذلك لأنهم يتلقون فيها تعليمهم الأول من القراءة والكتابة، ودراسة العلوم المختلفة كالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وعلوم اللغة العربية، وقد سأل أنس ﷺ كيف كان المؤدبون على عهد الأئمة أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم أجمعين، قال أنس: كان المؤدب له أجانه وكل صبي يأتي كل يوم توثقه ماء طاهراً فيصبونه فيها، فيحمون بها ألواحهم، وفيها يذكر أن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ هو أول من جمع الأولاد في المكتب، وأمر عامر بن عبد الله الخزاعي أن يلازمهم للتعليم، وجعل رزقه من بيت المال[٢].

أصبح المكتب المؤسسة التعليمية الأولى لتعليم النشء الجديد من المسلمين، بعد أن وردت توصيات تعكس وجهة نظر بعض الفقهاء بعدم اتخاذ المسجد مكانا لتعلم الصبيان، فقد سأل مالك بن انس عن تعليم الصبيان في المسجد، فقال: ألا أرى ذلك يجوز لأنهم لا يحفظون من النجاسة[٣].

وقال الشيرازي[٤] أيضا عن مؤدبي الصبيان لَا يَجُوزُ لَهُمْ تَعْلِيمُ الْخَطِّ لِلصِّبْيَانِ فِي الْمَسَاجِدِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِتَنْزِيهِ الْمَسَاجِدِ مِنْ الصِّبْيَانِ وَالْمَجَانِينِ، لِأَنَّهُمْ يُسَوِّدُونَ حِيطَانَهَا، وَيُنَجِّسُونَ أَرْضَهَا، بَلْ يَتَّخِذُونَ لِلتَّعْلِيمِ حَوَانِيتَ فِي الدُّرُوبِ وَأَطْرَافِ الْأَسْوَاقِ.

وظهرت ملامح الكتاتيب بالظهور بعد أن توفر عدد من المعلمين الذين بدءوا بتأسيس مكاتب مختلفة خاصة بهم، وكان يطلق على هذه المكاتب بالمكاتب الأولية التي تعتني بالأطفال، فالأطفال أول تعليمهم يدفعون إلى المكتب للتعليم بعد أن اكتسبوا من الأسرة والمجتمع ما شاء لهم من المعرفة، والى جانب المكاتب الأولية فأن هناك بعض المكاتب التي تعتني بتعليم الأطفال النابهين، والشبان علوم اللغة والآداب[٥].

أما في العصر الأموي فقد روي عن بعض التابعين الذين تلقوا تعليمهم في الكتاب، إلا وهو عثمان بن عبد الله (ت: ١١٨هـ) قوله: رأيت أبا سيد وأبا هريرة وأبا قتادة يمرون بنا ونحن في الكتاب وقد ازداد عدد الكتاتيب في عهد الأمويين، وقد اشتملت الدراسة في الكتاب إلى القرآن الكريم وأحاديث الأخبار، وبعض الأحكام الدينية والشعر، وميادين الحساب[٦]، فضلا عن تعلم قصص الأنبياء والمرسلين، والأحاديث النبوية الشريفة، والقواعد الأساسية في الرياضيات، وكانت طريقة التدريس قائمة على الحفظ والتلقين وقوة الذاكرة[٧].

---

١ علي بن الحسين (ت: ٣٥٦هـ) الأغاني، تحقيق سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط٢، د. ت، ج١٣٨/٢.

٢ الكردي: محمد طاهر بن عبد القادر الخطاط الملكي، تاريخ القران وغرائب رسمه، ط٢، مكتبة ألجلبي، القاهرة، ١٩٥٣م، ص١٢٢.

٣ الشيرازي: عبد الرحمن بن نصر(ت: ٥٨٩هـ)، نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة، تحقيق: ألباز ألعريني، بيروت، د. ت، ص٦٩.

٤ نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة، ص١٠٣.

٥ طلس: محمد أسعد، التربية والتعليم في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٦، ص٦٩.

٦ العمايرة: محمد حسن، أصول التربية، دار السيرة، ط٢، عمان، ٢٠٠٠م، ص١٨٨.

٧ حتي: فيليب وآخرون، تاريخ العرب المطول، دار غندم للطباعة والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٧٤م، ص٤٨٠.

ثالثا: المربد.

تميزت البصرة بوجود مركز ثقافي أخر لا يقل أهمية في نشر العلم والمعرفة والثقافة عن المسجد الجامع، ذلك الموضع الذي تطور ليكون سمة البصرة التي صارت تعرف به لشهرته، أنه سوق المربد.

قال الهروي[١]: " قال الأصمعي: المربد كل شيء حبست به الإبل، ولهذا قيل مربد النعم الذي بالمدينة، وبه سمي مربد البصرة، أنما كان موضع سوق الإبل، وكذلك كل ما كان من غير هذه المواضع أيضا، انه أذا حبست به الإبل فهو مربد"، وقال القلقشندى[٢]: " وبالبصرة محلة يقال لها المربد، بكسر الميم وسكون الراء المهملة وفتح الباء الموحدة ثم دال مهملة، وهي محلة عظيمة من جهة البرية، كانت العرب تجتمع فيها من الأقطار، ويتناشدون الأشعار، ويبيعون ويشترون".

والمربد كبقية أسواق العرب قبل الإسلام، حيث كانت الأسواق العربية مركزاً تلتقي فيه معظم القبائل العربية، سواء كانت للتجارة أو لنشر التراث الفكري لتلك القبائل، ومنتجع للشعراء والخطباء يتفاخرون بقبائلهم وأنسابهم، فقد ذكره الجار ود[٣] حيث كان يجمع فيه بين ربيعه ومضر، حيث يقول لهم عليكم بالمربد فأنه يطرد الفكر، ويجلو البصر، ويجلب الخير الخير ويجمع بكم[٣]، وقال أبو الفرج الأصفهاني[٤]: " وكان لراعي الإبل النميري (ت: ٩٠هـ) والفرزدق (ت: ١١٠هـ) وجلسائهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة يجلسون فيها"، وقال أيضا: "وكان الناس يحضرون المربد ويتناشدون الأشعار ويتحادثون ساعة"[٤].

رابعا: المجالس الأدبية والشعرية.

للمجالس أثر كبير في التعليم، والتعليم في جميع المدن الإسلامية يكون على نوعين التعليم العام والتعليم الخاص، فالتعليم العام يشمل جميع طبقات المجتمع الإسلامي، أما التعليم الخاص وهو تعليم أولاد الملوك والأمراء والقادة وغيرهم، لقد أدت المجالس الأدبية والشعرية دوراً في توسيع دائرة الثقافة والأدب في البصرة، فكانت هذه المجالس تضم كثيراً من القراء والمفسرين والأدباء والنحاة.

لقد صارت هذه المجالس مراكز أشعاع ثقافي كبير، حيث كانت المساجلات والمناقشات تجري فيها بين الشعراء أهل اللغة والنحو، فقد ذكر الزجاجي[٥]: أن بلال بن أبي بردة الذي كان والياً على البصرة سنة عشرة ومائة للهجرة، عرف بحبه بحبه لعقد المجالس الأدبية.

---

١ الهروي: أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ)، غريب الحديث، طبع تحت مراقبة الدكتور محمد عبد المعيد خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٦٤م، ج٢٤٧/١.

٢ أبو العباس احمد بن علي (ت: ٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج٣٣٧/٤.

٣ **الجار ود ألعبدي:** هو الجار ود بن المعلى بن العلاء، وكان سيداً في بني عبد ألقيس، قدم على رسول الله ﷺ في سنة عشر، وكان قدومه مع المنذر بن ساوى في جماعة من عبد ألقيس، وكان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه، وقيل له الجار ود لأنه أغار في الجاهلية على بكر بن وائل فأصابهم فجارهم، فغلب عليه الجار ود وعرف به، ثم سكن البصرة وقتل بأرض فارس، وقيل إنه قتل بنهاوند مع النعمان بن مقرن، وقيل إن عثمان بن أبي العاص بعث الجار ود في بعث نحو ساحل فارس فقتل بموضع يعرف بعقبة الجار ود وذلك سنة إحدى وعشرين، وقد كان سكن البحرين ولكنه يعد في البصريين. ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت: ٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: طه محمد الزيني، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، د. ت، ص٧٨.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٢٠/١.

(٤) الأغاني: ج٣٣/٨.

٤ الأصفهاني: الأغاني، ج٢٦٢/٢٢

٥ عبد الرحمن بن إسحاق (ت: ٣٣٩هـ)، مجالس العلماء، تحقيق عبد السلام هارون، الكويت، ١٩٦٢م، ص٢٤٣.

كما ارتاد الأدباء والشعراء واللغويين والنحويين، أمثال الأخفش والأصمعي هذا المربد، وقيل أن والي البصرة كان يلحن فنصحه الاخفش الأكبر، وشكره الوالي على هذه النصيحة قائلاً: " قد نصحت ونبهت فجزيت خيراً" [١].

وكانت دار أبي عمرو (ت: ١٥٤هـ) أحد القراء السبعة المعروفين، كان نحوياً له عدة أراء في اللغة والنحو، وكانت داره من المجالس العلمية المشهورة في البصرة، وقد التقى بها العديد من الأدباء والمحبين لجميع العلوم، وكذلك مجموعة من المفكرين والفلاسفة[٢]، وكان هناك الكثير من هذه المجالس في البصرة.

المبحث الثاني: مؤدبي أهل البصرة.

بعث الرسول محمد ﷺ بشيرا ونذيرا ومعلما، قال تعالى: أنما بعثت معلما[٣]، وقد حث الرسول ﷺ المسلمين على العلم والتعلم وطلبه والتحمل من اجله، كما حث على طلب التعليم وتبليغ العلم كقوله ﴿ :ﷺ من يرد الله به خير يفقه في الدين﴾[٤]، وجعل العلم إلزاميا على المسلمين كقوله﴿ :ﷺ طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمه ﴾[٥].

كما طلب رسولنا الكريم محمد ﷺ في غزوة بدر من أسرى قريش تعليم عشرة من المسلمين ليطلق سراحهم، وقد بين الرسول ﷺ فضل العالم والمتعلم كقوله ﴿ :ﷺالعالم والمتعلم شريكان في الخير، ولا خير في سائر الناس ﴾[٦].

لقد تمتع المؤدبون بارتفاع المستوى ألمعاشي بسبب تعاملهم مع أغنياء القوم، مما كان يقدمه الخلفاء والأمراء والأغنياء عندما يختارون مؤدبا لولدهم، فقد كان فاتحة خير عليه وعلى أهله، وفرصة لحل مشاكله وضايقته المادية، وذلك بتخصيص راتب شهري مجزي يتفق عليه.

فقد أعطى الخليفة هارون الرشيد راتبا إلى مؤدبي أولاده إلا وهو ألكسائـــــــــي[٧] والأحمر[٨] قدره ألف درهم شهريا[٩]، ولا شك انه عال بمقداره فضلاً عما كان يغدقه عليهم من المال والهدايا.

وروي بان ألكسائي كان يؤدب الأمين، فكتب إلى الرشيد:

قل للخليفة ما تقول لمن ... أمسى أليك بحرمة يدلي

ما زلت منذ صار الأمين معي ... عبدي يدي ومطيتي رجلي

---

١ الزجاجي: المصدر نفسه، ص٥٤.

٢ الزجاجي: المصدر نفسه، ص١.

٣ سورة التوبة: الآية ٢.

٤ الدار مي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن(ت: ٢٥٥هـ)، سنن الدار مي، دمشق، ١٩٣٠م، ج٧٤/١.

٥ ابن ماجه: سنن ابن ماجه، ج٨١/١.

٦ الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم(ت: ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مطبعة الزهراء الحديثة، ط٢، الموصل، ١٩٨٣م، ج٢٢٠/٨.

٧ هو أبو الحسن عليّ بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز، مولى بني أسد، قيل له: لم سُميت ألكسائي؟ قال: لأني أحرمت في كساء، وهو إمام أهل الكوفة في النحو والقراءة، أستاذ الفراء وعليّ بن المبارك الأحمر، ورد بغداد وأدب محمّد بن الرشيد، قال الجاحظ: تعلّم ألكسائي النحو بعد الكبر. المرزباني: عبد الله بن محمد (ت: ٣٨٤هـ)، نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النجاة والأدباء والشعراء والعلماء، حققه: رودلف زلهايم، فرانكفورت، ١٩٦٤، ص١٠٤.

٨ أبو الحسن عليّ بن المبارك، كان مؤدب محمّد بن زبيدة بعد ألكسائي، لأن ألكسائي كان قد أصابه وضحٌ، فقالت له أمّ جعفر: أجلس بعض أصحابك مع ابني للعلَّة التي كانت به لئلا يُعديه! فأجلس معه الأحمر، توفي الأحمر سنة أربع وتسعين ومائة. المرزباني: نور القبس، ص١١١.

٩ ياقوت الحموي: شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٧٦هـ)، معجم الأدباء، دار المأمون، ط٣، د. ت، ج٨/١٣.

ضحك الرشيد وأرسل إليه بعشرة ألاف درهم وجارية وخادمه[١]، وقد كرر له الهدية بعشرة ألاف أخرى وهو قائم بتأديب المأمون، وقد أخبره بحسن أدبه[٢].

واختلفت أراء الفقهاء والعلماء بشأن اخذ الأجور لقاء التعليم، فمنهم من ذهب إلى جواز ذلك، ومنهم من نهى عنه، فأبو حامد الغزالي عندما منع المعلم من أخذ الأجور عن التعليم من طلاب العلم إنما اقتدى بالرسول الكريم ﷺ إذ يقول ما نصه: " أن يقتدي بصاحب الرسالة ﷺ فلا يطلب على إفادة العلم أجرا، ولا يقصد به جزاء وشكرا بل يعلم لوجه الله، وطلباً للتقرب إليه، ولا يرى لنفسه منة عليهم، وإن كانت المنة لازمة عليهم، بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تتقرب إلى الله تعالى بزراعة العلوم فيها كالذي يعيرك الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الأرض، فكيف تقلده منة وثوابك في التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى، ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب، فلا تطلب الأجر إلا من الله تعالى"[٣].

والواضح من كلام الغزالي أن التعليم يجب أن يكون مجاني ابتغاء لمرضاة الله وثوابه في بث التعليم بين المسلمين، وعلى الرغم من ذلك فأن بعض المعلمين والعلماء اتخذوا من التعليم حرفة يقتاتون عليها.

وبهذا فأن الأجرة كانت مباحة ومختلفة بحسب حالة الطالب وطبيعة معلمه في قبولها أو رفضها، مما تسبب في تباين الحالة الاجتماعية والاقتصادية للمعلمين والمؤدبين.

وسنستعرض بعض مؤدبي البصرة، الذين أسهموا في بلورة الفكر العلمي والتربوي في مدينة البصرة.

١. الحسن[٤] بن علي بن عبد الله البصري المؤدب.

أبو علي، المقرئ المؤدب الأقرع، سمع أبا حفص الكتاني وأبا طاهر المخلص وعيسى بن علي بن عيسى الوزير، وأبا القاسم بن الصيدلاني ومحمد بن جعفر بن النجار الكوفي ومحمد بن بكران بن الرازي، وإسماعيل بن هشام الصرصري ومن بعدهم، لم يكن به بأس، أخبرنا الحسن بن علي الأقرع قال: سمعت أبا أمامه الباهلي يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿ أكفلوا لي ستا أكفل لكم الجنة، إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذا أؤتمن فلا يخن، وإذا وعد فلا يخلف، غضوا أبصاركم وكفوا أيديكم واحفظوا فروجكم ﴾، قال الحسن: ليس عندي عن أبي حفص الكتاني سوى هذا الحديث، مات أبو علي الأقرع في ليلة السبت التاسع عشر من صفر سنة سبع وأربعين وأربعمائة، ودفن في مقبرة باب حرب.

٢. حسين[٥] بن ذكوان العوذي البصري.

---

١ المرزباني: نور القبس، ص٢٨٥.

٢ ابن دحيه الكلبي: حسن بن علي (ت: ٦٣٣هـ)، النبراس، بغداد، ١٩٤٦م، ص٤٩.

٣ الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الطوسي(ت: ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢هـ، ج٥٦/١. ج٥٦/١.

٤ **ينظر ترجمته:** الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٣٩٢/٧؛ ألصفدي: صلاح الدين بن أيبك (ت: ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الارنأووط وتركي فرحان المصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠٠م، ج١٧٣/٤.

٥ **ينظر ترجمته:** العقيلي: أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى(ت: ٢٢٢هـ)، الضعفاء الكبير، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، ط١، بيروت، ١٩٨٤م، ج٢١٠/٢؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٢٧٠/٧؛ البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي(ت: ٢٥٦هـ)، التاريخ الكبير، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت، د. ت، ج٣٨٧/٢.

أبو عبد الله المعلم المكتب المؤدب البصري العوذي، سمع عبد الله بن بريده ويحيى بن أبى كثير، سمع منه شعبة وعبد الوارث وابن المبارك، وكان ثقة لمعلم بصري، ضعيف مضطرب الحديث، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثنا أبو بكر بن خلاد قال: سمعت يحيى وذكر أحاديث لحسين المعلم فقال: فيه اضطراب، حدثنا محمد بن عيسى قال: حدثنا صالح قال: حدثنا علي قال: قلت ليحيى بن سعيد إن يزيد بن هارون روى عن حسين المعلم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن رجلا تزوج امرأة على عمتها، فقال يحيى: كنا نعرف حسينا، يعني المعلم بهذا الحديث المرسل.

٣. سفيان[١] بن زياد البصري المؤدب.

أبو سعيد، سفيان بن زياد البصري، المعروف بالرأس، سمع عن حماد بن زيد وابن عيينة، وقد عظم أبو حاتم شأنه فقال: كان أحد الحفاظ.

مات بعد المائتين شاباً وليس ذا شيخ، وذكره بن حبان في الثقات فقال: عاجله الموت قبل المائتين بدهر فلم ينتفع به وكان صديقاً لعيينة بن سعيد.

٤. شيبان[٢] بن عبد الرحمن التميمي البصري.

أبو معاوية البصري المؤدب، التميمي مولاهم النحوي، نزيل الكوفة ثم بغداد، أحد الأئمة المتقنين، أدب بالكوفة أولاد الأمير داود بن علي العباس، وقيل في نسبته إلى النحو: إنما هو إلى نحو بن شمس بطن من الأزد، قرأ على عاصم بن أبي النجود، وأبي إسحاق السبيعي، وعطاء بن أبي السائب.

روى عن الحسن وابن سيرين وقتادة ومنصور وعدة، وعنه زائدة وابن مهدي وأبو النضر وآخرون.

وقال أحمد: ثبت في كل المشايخ، وقال ابن معين: ثقة في كل شيء مات سنة أربع وستين ومائة.

٥. عباد[٣] بن ميسرة ألمنقري البصري المؤدب.

عباد بن ميسرة ألمنقري، بصري كان من العباد، روى عن الحسن البصري وابن سيرين وعلي بن زيد بن جدعان ومحمد بن المنكد ري وقتادة وزرارة بن أوفى.

روى عنه حميد بن أبى زياد، وأبو داود الطيالسى، وصدقة بن عمرو الغساني، وعبأه بن كليب، وهشيم بن بشير، ووكيع بن الجراح، وعباد بن أبى عون القصاب بصري يقال له أبو جناب، وآخرون من أهل البصرة.

---

١ **ينظر ترجمته:** ابن عدي: أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني(ت: ٣٦٥هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، ١٩٩٨م، ج١/١١٣؛ المزي: جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن الزكي(ت: ٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٨٠م، ج٢٢/٤٦٢؛ ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين احمد بن علي (ت: ٨٥٢هـ)، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي، ط٢، بيروت، ١٩٧١م، ج١/٤٣٩.

٢ **ينظر ترجمته:** ألصفدي: الوافي بالوفيات، ج٥/٢١٦؛ ابن حجر: لسان الميزان، ج٣/٢١٠؛ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن (ت: ٩١١هـ)، طبقات الحفاظ، تحقيق علي محمد عمر، ط١، مطبعة الاستقلال، ١٩٧٣م، ص١٧.

٣ **ينظر ترجمته:** البخاري: التاريخ الكبير، ج٦/٣٨؛ ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي ألبستي(ت: ٣٥٤هـ)، الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٥م، ج٧/١٦١؛ الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د. ت، ج٢/٣٧٨؛ العيني: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى (ت: ٨٥٥هـ)، مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، تحقيق: محمد فارس، مطبعة دار الإشاعة، الهند، د. ت، ج٣/٥٤.

قال موسى بن إسماعيل عن الربيع بن عبد الله قال: كان عباد ألمنقري قد عاهد الله ليقرآن كل ليلة بألف آية، فان لم يقرأ أصبح صائما، فاشتد عليه فأتينا به ابن سيرين فقال: لا أقول اعهد الله شيئا ليوف بعهد الله، وقال الحسن: لا يكلف الله نفسا ألا ما أطاقت ليكفر يمينه.

وكان من العباد المجتهدين، وعن يحيى بن معين: ليس به بأس. وقال عباس الدوري عن ابن معين: عباد بن ميسرة، وعباد بن راشد، وعباد بن كثير، وعباد بن منصور، كلهم ليس حديثهم بالقوى، ولكن يكتب، وقال أبو داود: ليس بالقوى، روى له النسائي، وابن ماجه في التفسير، وأبو جعفر الطحاوى.

٦. عبد الله [١] بن عبيد الحميري البصري المؤدب.

عبد الله بن عبيد الحميري البصري مؤذن مسجد المسارح، وهو مسجد عتبة بن غزوان ويعرف بمسجد جرا دار ويقال شرا دار المسا رج، ثقة من السابعة.

روى عن أبي بكر بن النضر بن أنس، وعديسة بنت اهبان بن صيفي، وعنه إسماعيل بن علية، ويزيد بن زريع والنضر بن شميل، وأبو عبيدة الحداد وصفوان بن عيسى، وعثمان ابن الهيثم وغيرهم.

قال ابن معين ثقة، وقال أبو حاتم صالح ما به بأس، روى له الترمذي والنسائي وبن ماجة.

٧. عثمان[٢] بن سعد أبو بكر البصري المؤدب.

الكاتب التميمي أبو بكر البصري، سمع انس بن مالك رضي الله عنه، وابن سيرين، وعكرمة مولى ابن عباس.

روى عنه شعبة، وأبو عبيدة الحداد، وأبو عاصم النبيل، ويحيى بن كثير بن درهم، قال محمد حدثنا أبو عاصم: أخ شيخ من قريش عثمان بن سعد.

قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به. وقال أبو زرعه: لين. وقال النسائي: ليس بالقوى. وقال الترمذي: تكلم يحيى القطان في عثمان بن سعد الكاتب وضعفه من قِبل حفظه. روى له أبو داود، والترمذي.

٨. علي[٣] بن عبد العزيز النايتي البصري المؤدب.

علي بن عبد العزيز النايتي البصري المؤدب، روى عن فاروق الخطابي، وروى عنه محمد بن الأَشْنَاني.

٩. موسى[٤] بن ثروان البصري المؤدب.

ألعجلي، المعلم، البَصْرِيّ، المؤدب، ويقال بن سروان، ويقال بن فروان ألعجلي.

روى عن بديل بن ميسرة وجابر بن رمله وطلحة بن عبيد الله بن كريز ومورق ألعجلي ويزيد الرقاشي وأبي الطاهر بن يحيى وأبي المتوكل الناجي.

---

١ **ينظر ترجمته:** المزي: تهذيب الكمال، ج٢٦٢/١٥؛ الذهبي: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية مؤسسة علوم القرآن، جدة، ١٩٩٢م، ج٥٧١/١؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٤م، ج٢٧٠/٥.

٢ **ينظر ترجمته:** البخاري: التاريخ الكبير، ج٢٢٥/٦؛ الذهبي: ميزان الاعتدال، ج٣٤/٣؛ العيني: مغاني الأخيار، ج٣٤٦/٣.

٣ **ينظر ترجمته:** ابن ناصر الدين الدمشقي: محمد بن عبد الله (ت: ٨٤٢هـ)، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق: محمد نعيم العرق سوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م، ج٤٨/٢؛ ابن حجر: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، مطبعة دار صادر، بيروت، د. ت، ج٥٦/١.

٤ **ينظر ترجمته:** البخاري: التاريخ الكبير، ج٢٨١/٧؛ المزي: تهذيب الكمال، ج٤٠/٢٩؛ الذهبي: الكاشف، ج٣٠٢/٢.

روى عنه أمية بن خالد وشعبة بن الحجاج وعبد الله بن المبارك وعبد الصمد بن عبد الوارث وعمر بن أبي وهب الخزاعي البصري ومحمد بن سواء والنضر بن شميل وهلال بن فياض المعروف بشاذ ووكيع بن الجراح وأبو عبيدة الحداد، قال إسحاق بن منصور وعباس الدوري عن يحيى بن معين ثقة، وذكره بن حبان في كتاب الثقات، روى له مسلم متابعة وأبو داود والنسائي.

الخاتمة

لقد اهتم المربون المسلمون بمجالس الدرس في المساجد فوضعوا لها آداباً وأخلاقيات، وأصولاً ينبغي أن يتبعها العالم والمتعلم، مما يخلق أجواء نقية نظيفة تسودها العلاقات الإنسانية، والقائمة على بناء جسور الثقة والمحبة بين قطبي العملية التعليمية والتعلمية.

أما لغة التدريس التي كان يستخدمها العلماء في المسجد، فلا شك في أن اللغة الأساسية هي اللغة العربية لغة القرآن الكريم، إلا أنه بعد الفتوحات الإسلامية دخل الكثير من الناس في الإسلام، وهم من شعوب مختلفة منهم الفارسي والرومي والزنجي. . . الخ، مما حتم على الفقيه أو المحدث أتباع شتى الوسائل لإيصال المعارف لأصحابها , وخاصة إذا كانت أداتها اللغة.

وكان المسجد مركزاً للتعليم العالي، وقد أثر في نمو العلوم وانتشارها لاتصاله بالدين وكونه مكاناً للعبادة، وكذلك فتح أبوابه ليتلقى الجميع العلم فيه، على اعتبار أن بيوت الله ليس لأحد عليها سلطان، ولا يحتاج الدخول إليها إلى استئذان، ويشعر الطالب فيها بالحرية، ولقد عدَّ المسجد بمثابة مدرسة عالية.

أما الحلقات العلمية في المساجد فقد توالى ذكرها في كتب التاريخ والتراجم، بل يكاد لا يخلو تاريخ عالم من العلماء أو شيخ من الشيوخ، من الإشارة إلى (حلقة) له بمسجد من المساجد، وكانت تلك الحلقات منتشرة منذ العصور الأولى في المساجد الجامعة بالحجاز والشام والعراق ومصر والقيروان وقرطبة وغيرها من المناطق والممالك الإسلامية وعواصمها ومدنها، وسمي الدرس (حلقة) لأن الطلاب كانوا (يتحلقون) أي ينتظمون في شبه عقد أو حلقة حول شيخهم وكانت الحلقة تضيق أو تتسع أو تتضاعف تبعاً لعدد الطلاب.

ووصلت عناية المربين المسلمين بنظافة الصبيان في المكتب بأن أوجبوا عليهم أن يكون لمسح الألواح مكان طاهر نظيف، وأن يستخدموا الخرق الطاهرة لمسح الألواح، ولا يستخدموا البصاق بل الماء الطاهر، لأن البصاق فيه القذارة وعدم الاحترام للمادة المكتوبة على الألواح.

والملفت للنظر اهتمام الفقهاء المربين المسلمين بصحة الصبيان في الكتاب، فنصحوا بعزل الصبي المريض عن رفاقه حتى لا ينتشر المرض بينهم.

وطلب إلى معلم الصبيان منعهم من أكل الطعام والحلوى المكشوفة والمعروضة من قبل الباعة الجوالين فلا يدع المعلم أحداً من البياعين يقف على المكتب ليبيع للصبيان، إذ فيه المفاسد إن اشترى منه.

نستنتج من هذا أنه كان هناك نوعان من الكتاتيب، أحدهما لتعليم القرآن، ومبادئ الدين الإسلامي، وثانيهما لتعليم القراءة والكتابة والحساب، إلا أن هذا لا يمكن تعميمه، حيث كان ثمة كتاتيب تجمع بين تعليم هذه المواد، لكن نستطيع القول إن الكتاتيب القرآنية قد انتشرت بشكل واسع وبارز، نتيجة تحمس الناس الشديد للقرآن الكريم، وكثرة الفتوحات الإسلامية، وبالتالي اتساع رقعة الدولة.

أما بالنسبة للمؤسسات التربوية الإسلامية، فقد عرف الإسلام المؤسسة التربوية منذ اللحظات الأولى لبدء نزول الوحي على قلب محمد، فكانت دار الأرقم بن أبي الأرقم أول مؤسسة تربوية، فقد كان المعلم الأعظم يجمع القلة القليلة

التي آمنت به سراً في هذه الدار، ويستخلص نفوسها، ويعلمها آيات القرآن التي يتنزل بها الروح الأمين على قلبه، ويشكلها عقائدياً بما يتفق وتعاليم الإسلام الحنيف.

ولم تكن المؤسسة التربوية الإسلامية مقتصرة على المدرسة فقط، بل تعدتها إلى الكتاب، والمسجد، والمكتبة، وبيوت الحكمة، ودور العلم، وحوانيت الوراقين، ومجالس العلم والمناظرة، ومنازل العلماء، ومجالس الفتوى، والبيمارستانات، والمراكز الصوفية، والعتبات المقدسة وغيرها.

ولقد كانت هذه المؤسسات التربوية الإسلامية، نتاج بيئة معينة، نابعة من صميم حاجات المجتمع الإسلامي وتطوراته، مصبوغة بالروح الإسلامية، حيث اهتدت بتعاليم وأغراض الإسلام، إنها ليست بالدخيلة، وإنما هي نتاج نمو وتطور في الحياة الإسلامية العامة، نشأت في أمكنة معينة وأزمان معينة، وظروف معينة ، وضمن أغراض معينة أملتها حاجات المجتمع الإسلامي النامية المتطورة.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر.

الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين (ت: ٣٥٦هـ).

١. الأغاني، تحقيق سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط٢، د. ت.

البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي(ت: ٢٥٦هـ).

٢. التاريخ الكبير، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت، د. ت.

الجاحظ: أبو عمرو بن بحر (ت: ٢٥٥هـ).

٣. البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط، مصر، ١٩٨٥م.

ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي ألبستي(ت: ٣٥٤هـ).

٤. الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٥م.

ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين احمد بن علي (ت: ٨٥٢هـ).

٥. تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، مطبعة دار صادر، بيروت، د. ت.

٦. تهذيب التهذيب، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٩٨٤م.

٧. لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي، ط٢، بيروت، ١٩٧١م.

الخطيب البغدادي: أبو بكر احمد بن علي (ت: ٤٦٣هـ).

٨. تاريخ بغداد مدينة السلام، مطبعة دار الكتاب، بيروت، د. ت.

ابن خلكان: احمد بن محمد (ت: ٦٨١هـ).

٩. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨م.

الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن(ت: ٢٥٥هـ).

١٠. سنن الدار مي، دمشق، ١٩٣٠م.

ابن دحيه الكلبي: حسن بن علي (ت: ٦٣٣هـ).

١١. النبراس، بغداد، د. مط. ، ١٩٤٦م.

الذهبي: محمد بن احمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ).

١٢. تذكرة الحفاظ، ط٤، مطبعة حيدر أباد الدكن، ١٩٦٨م.

١٣. سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٤، بيروت، ١٤٠٦هـ.

١٤. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية مؤسسة علوم القرآن، ط١، جدة، ١٩٩٢م.
١٥. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د. ت.
الزَّبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ).
١٦. تاج العروس من جواهر القاموس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٤م.
الزجاجي: عبد الرحمن بن إسحاق (ت: ٣٣٩هـ).
١٧. مجالس العلماء، تحقيق عبد السلام هارون، الكويت، ١٩٦٢م.
ألسبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت: ٧٧١هـ).
١٨. طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، مطبعة عيسى ألبابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٦٤م.
ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن منيع البصري (ت: ٢٣٠هـ).
١٩. الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ج٢٨/١.
السمعاني: عبد الكريم بن محمد (ت: ٥٦٢هـ).
٢٠. أدب الإملاء والاستملاء، ط١، القاهرة، ١٩٥٢م.
٢١. التحبير في المعجم الكبير، تحقيق: منيرة ناجي سالم، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٥م.
السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن (ت: ٩١١هـ).
٢٢. طبقات الحفاظ، تحقيق علي محمد عمر، ط١، مطبعة الاستقلال، ١٩٧٣م.
الشر يشي: أحمد بن عبد المؤمن بن موسى الأندلسي (ت: ٦١٩هـ)،
٢٣. شرح مقامات الحريري، تحقيق مجمد أبو الفضل، القاهرة، د. ت.
الشيرازي: عبد الرحمن بن نصر(ت: ٥٨٩هـ).
٢٤. نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة، تحقيق: ألباز ألعريني، بيروت، د. ت.
ألصفدي: صلاح الدين بن أيبك (ت: ٧٦٤هـ).
٢٥. الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الارنأووط وتركي فرحان المصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم(ت: ٣٦٠هـ).
٢٦. المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مطبعة الزهراء الحديثة، ط٢، الموصل، ١٩٨٣م.
الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ).
٢٧. تاريخ الرسل والملوك، القاهرة، ١٩٦٣م.
ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت: ٤٦٣هـ).
٢٨. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: طه محمد الزيني، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، د. ت.
ابن العماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي (ت: ١٠٨٩هـ)،
٢٩. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، د. ت.
العيني: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى (ت: ٨٥٥هـ).
٣٠. مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، تحقيق: محمد فارس، مطبعة دار الإشاعة، الهند، د. ت.
الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الطوسي(ت: ٥٠٥هـ).
٣١. إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢هـ.

ابن الفقيه: احمد بن محمد (ت في القرن الثالث الهجري).
٣٢. مختصر كتاب البلدان، طبعة ليدن، ١٩١٤م.
القفطي: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت: ٦٤٦هـ).
٣٣. أنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م.
القلقشندى: أبو العباس احمد بن علي (ت: ٨٢١هـ).
٣٤. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
ابن كثير: إسماعيل بن عمر(ت: ٧٧٤هـ).
٣٥. البداية والنهاية في التاريخ، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩٣٢م.
ابن ماجه: محمد بن يزيد القز ويني (ت: ٢٧٥هـ).
٣٦. سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، د. ت.
المرزباني: عبد الله بن محمد (ت: ٣٨٤هـ).
٣٧. نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النجاة والأدباء والشعراء والعلماء، حققه: رودلف زلهايم، فرانكفورت، ١٩٦٤.
المزي: جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن الزكي(ت: ٧٤٢هـ).
٣٨. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.
ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت: ٧١١هـ).
٣٩. لسان العرب، دار صادر، ط١، بيروت، ١٩٥٥م.
ابن ناصر الدين الدمشقي: محمد بن عبد الله (ت: ٨٤٢هـ).
٤٠. توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق: محمد نعيم العرق سوسي، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٩٣م.
الهروي: أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ).
٤١. غريب الحديث، طبع تحت مراقبة الدكتور محمد عبد المعيد خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٦٤م.
ياقوت الحموي: شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٧٦هـ).
٤٢. معجم الأدباء، دار المأمون، ط٣، د. ت.

ثانياً: المراجع.

حتي: فيليب وآخرون.
٤٣. تاريخ العرب المطول، دار غندم للطباعة والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٧٤م.
سزكين: فؤاد.
٤٤. تراث الإسلام، حلب، ١٩٧٧م.
طلس: محمد أسعد.
٤٥. التربية والتعليم في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٦.
العمايرة: محمد حسن.
٤٦. أصول التربية، دار السيرة، ط٢، عمان، ٢٠٠٠م.
الكردي: محمد طاهر بن عبد القادر الخطاط الملكي.
٤٧. تاريخ القرآن وغرائب رسمه، ط٢، مكتبة ألجلبي، القاهرة، ١٩٥٣م.

مصطفى: إبراهيم وآخرون.
٤٨. المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، تركيا، ١٩٨٩م.